

موعظة حول الكسوف

أ. أناهيد السميري

ألقى يوم الإثنين ٢٨-١-١٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تقاريع من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السمييري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهن الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[/!#/http://tafaregdros.blogspot.com](http://tafaregdros.blogspot.com)

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التقاريع من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

[/http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net)

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه موعظة في الكسوف أسأل الله أن ينفعني وينفعكم، خصوصاً أن كثيراً من الخلق أصبحوا ينظرون إلى هذا الأمر على أنه ظاهرة طبيعية، وماذا يستدعي من الخوف مع ما صنعته أيدينا من ظلم! ولا داعٍ إلى هذا الخوف! وكثير من الناس يقولون: لماذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يصلي في هذا الوقت فهذه الظاهرة لا تسبب أذى!؟

كما تعلمون أن الشمس لما كسفت على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- أمر منادٍ أن ينادي: (الصلاة جامعة)، فصلى بالناس، ثم خطبهم وبيّن لهم حكمة الكسوف، وأبطل لهم الكثير من الاعتقادات الجاهلية، وبيّن لهم ما يفعلونه من الصلاة والدعاء والصدقة والاستغفار، وقال لهم -صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَصَلُّوا وَادْعُوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بَكُمْ)).^١

لا يعرفون موعداً للكسوف ولا عندهم مرصد، لكنهم لما يحدث هذا الحدث يخافون أن يكون مُنذراً لهم بنزول بلاء، فيلجأون إلى الله بالدعاء، فحتى ونحن نعرف أن الحدث سيحصل فهذا لا يغير الحُكم، لا بد أن نشعر أن هذا إشارة إلى غضب الله! وكما اتفقنا أن صلاة المسلمين ودعائهم يرد عن الخلق شرّاً كثيراً لا يعلمه إلا الله.

وهذا أيضا يذكرنا بما يكون يوم القيامة: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾، ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ وقد ورد في الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج من بيته فرعاً يجرد رداءه -صلى الله عليه وسلم-.

لما يموت القلب لا تشعر بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُخَوِّفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِمَا عِبَادَهُ وَإِنَّهُمَا لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا حَتَّى يُكْشَفَ مَا بَكُمْ)) كيف ما يدخل إلى قلوبنا الخوف!؟

^١ متفق عليه.

وفي لفظ آخر للحديث: ((فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَافِرُّوا إِلَىٰ ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ))^٢ فالنبي -صلى الله عليه وسلم- كما يقول الشيخ ابن باز -رحمه الله- علق أمر الكسوف بالصلاة والدعاء والذكر والاستغفار، ولم يعلِّقه بخبر الحسّابين! فنحن مطلوب منا الآن أن نجتمع بين الصلاة والذكر والدعاء والخوف.

لماذا لا نبالي؟! لماذا أصبح الأمر عاديًا؟! لماذا تبدّد الاحساس؟! فأنت ترى أن الناس يصلون -الحمد لله- خصوصا في هذه الأرض المباركة، لكنهم لا يخافون إلا من رحم ربي! وهناك قسم في أصله لا يعلم عن شيء! لا يبالي ولا يكلف نفسه بشيء!

فلا تمت قلبك بقراءة أي كلام من كلام هؤلاء الخلق، لأنهم يرونه خرافة ﴿بِرؤنُهُ بَعِيدًا﴾ (٦) وَرَأَهُ قَرِيبًا ﴿٣﴾، غَلَبَ الإِرجاء على الواقع، ودائما مشاعر أنّ ربنا سيغفر لنا هون العظام من المسائل، فأنت لما تتصفح في كلام الناس تجد أنهم يزيد بعضهم بعضا تهوينا!

أنت ترى اليوم كسوفًا للشمس وزلازل عظيمة، فكيف تمر عليك هذه الأحداث من زلازل وبراكين وفيضانات دون أن يكون لك وقفة تأمل واعتبار؟! ألسنت تملك تلك العقيدة الراسخة التي تقول لك أنّ بعد الحياة موت وبعد الموت بعث؟!!

ما تجده من برود الناس إنما هذا من آثار المناهج المادية البحتة، فهم ينطلقون في تصوراتهم لهذه الأحداث من هذا المنطلق، لكن أنت ذاك العبد المُعلّق دائما بربه، ما يرى من نعمة إلا وهو ينسبها إلى الله، وما يرى من مصيبة إلا ويعلم أنها بما كسبت يدها، وأنّ الله يعامله بعفوه الكثير. وأنت في معتقدك اليقيني الذي سُسأل عنه أنّ الكون يأنسه وجنه وسمائه وأرضه وكواكبه ونجومه ومخلوقاته التي نعلمها والتي لا نعلمها إنما هي مُسخرة بأمر الله، يتصرف فيها الله عز وجل كيفما يشاء، كل هذا الذي تراه من مُلك والذي لا تستطيع إدراكه كخردلة في يمينه كما يقول ابن عباس.

المسلم الذي يحمل عقيدة التوحيد يعلم أن الضر والنفع بيد الله، ما يجري من براكين وزلازل وأمطار وأعاصير ورياح وكسوف وخسوف إنما بأمره ولحكمة يريد بها سواء علمها الخلق أو لم يعلموها، نعلم أن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، نعلم أن الواجب علينا أن نصبر ونحتسب، لكن لا بد أن تتأثر بالآيات الكونية. ترى آية أمام عينيك ماثلة، ترى قدرة الله عز وجل على منع هذه الشمس العظيمة من الإضاءة لنا، بدلًا من أن تكون هذه حقيقة إيمانية تزيدك إيمانا ترى الناس ينسبونها إلى الطبيعة! والله هذه آثار التعليم الذي أورش الخلق نفاقًا. أتسى قدرة الله العظيمة وتتأثر باللوثة المادية؟! وهل تظن أنك بهذا الفعل وكونك لا تتأثر تخرج من مشاعر أن هناك خبط عشواء؟!!

إنك تسمع بعد كثير من هذه الأحداث كلامًا في الصحف والمجلات لا يُخرجه إلا من لا يعرف الله.

^٢ "صحيح البخاري" (كتاب الكسوف/ باب الدُّكْرِ فِي الكُسُوفِ، زَوَاةُ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا/ ١٠٥٩).

^٣ المعارج: ٦، ٧

نحن نعلم أن الظواهر الكونية لها أسباب طبيعية، وأن أهل الفلك يستطيعون معرفة وقوعها قبل وقوعها، لكن هذه الظواهر أيضا لها أسباب شرعية لا يمكن إهمالها، إنها ابتلاءات يخوف الله بها عباده، إنها تنبيه على جرائم تكون في الخلوات لا يعلم بها إلا الله! حَدَّثَ الكسوف أو لم يحدث لابد من توبة وتصحيح.

إنَّ ذهاب نور الشمس والقمر كله أو بعضه ماهو إلا نذير. كلمة في داخلك لابد أن تصرخ: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وأنك تعيش في لطفه ورحمته.

إن كثرة المعاصي والفتن وانغماس الناس في شهوات الدنيا ونسيان أهوال الآخرة، القوم أترفوا أبدانهم وأتلفوا أديانهم، القوم غرقوا في المادية المحسوسة وأعرضوا عن الغيب الموعود ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَمَسُّوهُمُ الْأُمُلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^٤.

فأنت أغلق على قلبك من هؤلاء المتكلمين، ولا تبرد مع الباردين، هؤلاء أتباع لإعلام غربي يرددون ما يقوله حرفيا دون أن تظهر فيهم السمة الإسلامية لا في التحليل ولا في المتابعة إلا من رحم ربي.

ألا ترى الكسوف والخسوف في كثير من الدول العربية الإسلامية تحوّل إلى احتفال ومواسم للسياحة! تخيل أنّ الخوف والفرح والتفكير والصلاة والاستغفار تحوّل إلى أنس وفرح! لا أريد منكم أن تتجولوا في الصحافة الداخلية أو الخارجية، لكن اسمع لما تقول إحداهن: (إلى كسوف آخر!) يعني: إلى غضب الله آخر!! وكل الأمر أنهم يخشون على أبصارهم بعدما فقدوا بصائرهم!

خرج النبي فزعاً يجر رداءه مستعجلاً يخشى أن تكون الساعة، وجاء في رواية مسلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- أخطأ فخرج بدرع بعض نسائه لظنه أنه رداءه حتى أدركوه بالرداء "فَأَخْطَأَ بَدْرِعٍ حَتَّى أَدْرَكَ بَرْدَانَهُ"^٥. انظر إلى انشغال خاطره!.

وكان يوما شديد الحر، ونودي بالصلاة جامعة، فصلى -صلى الله عليه وسلم- بهم صلاة طويلة، وسمع وهو في سجوده يقول: ((رَبِّ الْمُتَعَدِّينِ أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَأَنَا فِيهِمْ أَلَمْ تَعَذِّبْنِي أَنْ لَا تُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ؟))^٦ وقد قال -صلى الله عليه وسلم- في خطبته: ((يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يُزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أُمَّتُهُ)) وأنت اليوم ترى كيف أنّ الزنا انتشر وانتشرت دواعيه.

^٤ الحجر: ٣

^٥ "صحيح البخاري" (كتاب الكسوف / باب ما عرضَ عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- في صلاة الكسوف من أمر الجُنَّةِ وَالنَّارِ / ٢١٤٦).

^٦ "سنن أبو داود" (الاستسقاء / باب مَنْ قَالَ يَزْكُغُ رُكْعَتَيْنِ / ١١٩٦) صححه الألباني.

ثم قال: ((يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ لَوْ نَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا))^٧، (وايم الله لقد رأيت منذ قمت أصلي ما أتم لاقون في أمر دينكم وآخرتكم، ما من شيء كنت لم أراه إلا قد رأيت في مقامي هذا حتى الجنة والنار، رأيت النار يحطم بعضها بعضها فلم أرى كالיום منظرًا قط أظع منه، ورأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار -وهذا عمرو بن لحي الخزاعي هو أول من أعاد أصنام قوم نوح إلى العرب- ورأيت فيها امرأة تعذب في هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض))^٨.

((وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْكُمْ تُكْفَرُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ يُؤْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقَالُ لَهُ: مَا عَلِمَكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَاجْبُنَا وَآمِنَا وَاتَّبِعْنَا فَيَقَالُ لَهُ نَمَّ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ لَا أَذْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقَلْتُهُ))^٩ ثم ذكر -صلى الله عليه وسلم- الدجال، إلى آخر تلك الخطبة العظيمة.

هل تظنون أن فرع النبي وخروجه إلى مسجده وصلاته أمر عادي؟ لا والله، لكن ﴿رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^{١٠}.

لا بد أن نكون على وعي تام ومعرفة بأساليب هؤلاء العلمانيين وكتاباتهم، لا بد أن نحفظ مُسلماتنا من التغيير. روى البخاري ومسلم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- "كَانَ إِذَا رَأَى غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، فَكَانَتْ تَسْأَلُهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرَحُوا رَجَاءً أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ" فَقَالَ: ((يَا عَائِشَةُ مَا يُؤْمِنِي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ عَذَبَ قَوْمَ بِالرِّيحِ وَقَدْ رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا ﴿هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا﴾))^{١١}.

المقصود أن هذه الأرض التي نعيش فيها جزء يسير من كوكب عظيم، جزء يسير من فلك عظيم، خلقه الله، وهو في يده كالخردلة، فنسأل العظيم الذي لا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم أن يحفظ قلوبنا بالإيمان، وأن

^٧ متفق عليه.

^٨ متفق عليه.

^٩ "صحيح البخاري" (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة / باب الإقْدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / ٧٢٨٧).

^{١٠} المطففين : ١٤

^{١١} "صحيح البخاري" (باب {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ {عَارِضٌ} السَّحَابُ / ٤٨٢٩).

يحفظ معتقدنا، وأن يحفظ علينا تربية أبنائنا على الدين والإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦) أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^{١٢}.

على كل حال، نلزم الاستغفار وقع أو لم يقع، وندعو لأبنائنا وبناتنا أن يحيي الله قلوبهم، وأن يحيي قلوبنا نحن أولاً، إنه القادر على ذلك وهو وحده المسؤول.

^{١٢} الأعراف: ٩٦-٩٩